

الكتابة اللسانية التمهيدية العربية: قراءة في المحتوى والمنهج

علم اللغة ل:علي عبد الواحد وافي – أنموذجا-

Arabic introductory linguistic writing: a reading in content and curriculum

Linguistics for: Ali Abdul Wahid Wafi – Model-

مريم قمروود

المركز الجامعي مغنية – تلمسان- الجزائر guemroudmeriem18@gmail.com

المشرف: د. عبد القادر بوشيبة

المركز الجامعي مغنية – تلمسان- الجزائر bouchiba_aek@yahoo.com

تاريخ النشر: 2021/01/01

تاريخ القبول: 2020/12/05

تاريخ الاستلام: 2020/12/01

ملخص:

انتقلت اللسانيات إلى الثقافة العربية نتيجة احتكاك اللغويين العرب بالمد اللساني الغربي، وتأثرهم بأفكار ورؤى رواده على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم، فراحوا ينهلون من روافد هذا الحقل المعرفي الجديد، وينقلون مبادئه، مناهجه مدارس، أعلامه، ونظرياته بهدف التعريف به، وتقديمه للقارئ العربي وتقريبه منه، وهذا ما عكسته المصنّفات التي ألّفت لهذا الغرض، والتي أصطلح عليها بـ"اللسانيات التمهيدية"، فكانت همزة وصل بين الفكر الغربي، وبين الفكر العربي، كما أسهمت بشكل كبير في إرساء دعائم الدرس اللساني العربي، ومن المصنّفات التي عدّت من بواكير الكتابات اللسانية التمهيدية العربية مصنّف "علم اللغة" لمؤلفة: علي عبد الواحد وافي، الذي ارتأينا تخصيصه بالدراسة في هذه الورقة البحثية بغية إبراز هذا الجهد من جهة، ومدى إسهامه في إفادة المتلقي العربي وتنويره من جهة أخرى، وذلك من خلال الإجابة على الإشكالية الآتية: فيم تجلّت القيم الوظيفية أو التعليمية في مصنّف "علم اللغة"؟، وما مدى انعكاسه على فكر المتلقي العربي؟.

كلمات مفتاحية: اللسانيات، الكتابة التمهيدية، المصنّفات، القيم الوظيفية، القارئ العربي.

Abstract:

Linguistics moved to Arab culture as a result of the contact of The Arab Language with the Western linguistic tide, and influenced by the ideas and visions of its pioneers of different sects and approaches, so they get out of the tributaries of this new field of knowledge, and convey its principles, its curricula schools, its sciences, and its theories in order to introduce it, This is reflected in the

classifications that were composed for this purpose, which are referred to as "preliminary linguistics", which was a link between Western thought and Arab thought, and contributed significantly to the establishment of the foundations of Arabic linguistic schooling, and from the classifications that were prepared One of the early arabic preliminary linguistic writings is the "Linguistics of The Language", by the author: "Ali Abdul Wahid Wafi", which we saw as allocated to study in this paper in order to highlight this effort on the one hand, and the extent to which it contributes to the benefit of the Arab recipient and enlighten him on the other, by answering The following problem: What are the functional or educational values in the "language science?".

Keywords: Linguistics, introductory writing, classifications, functional values, Arabic reader.

1- مقدمة:

مطلع عصر النهضة عرف الدرس اللغوي الغربي انتعاشاً وتحولاً في سير الأبحاث اللغويّة، أين كانت هذه الأخيرة في أوج ازدهارها وعطائها مواكبةً لتطور الأبحاث التجريبيّة والطبيعيّة، والتي طغى عليها التوجه التاريخي والمقارن متمثلة في أعمال أهمّ أعلام هذا التوجّه: فرانس بوب (Granz Bops)¹ (1791-1867)، وجاكوب جريم (Grim Jacob)² (1785-1863)، وظلت الأبحاث كذلك حتّى نهاية القرن التاسع عشر، وما لبث أن برز بتيار آخر مع مطلع القرن العشرين مع اللغوي السويدي مع فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) (1857-1913) مع كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" "Cours de linguistique générale" الصادر عام 1916 معلناً عن ميلاد منهج لسان جديد. منهج بنوي نادى بدراسة اللغة لذاتها ولأجل ذاتها³ مؤسساً بذلك المدرسة البنوية (الوصفية) محدثاً انقلاباً وانتقالاً منهجياً في البحث اللغوي فاتحاً المجال أمام مدارس ونظريات متباينة الرّؤى، والمفاهيم، والمناهج شملت كافّة أوروبا: ألمانيا، فرنسا، إنجلترا وامتدّت موجة التأثير إلى أمريكا. فظهرت مدارس كلّ حسب مرجعيّته، ونظرته للغة

المدرسة الوظيفية، النسقية، التوليد التحويلية، التداولية. أسهمت جميعا في بلورة الدرس اللغوي، وإثرائه وكشف الكثير عن جوانب اللغة الإنسانية.

- لم تبق هذه النظريات في حدود أوروبا وأمريكا فحسب، بل وصلت أصدائها إلى كافة أنحاء العالم، أين حظيت بقبول وترحيب كبيرين من قبل الباحثين والدارسين الذين تأثروا بالمناهج اللسانية الحديثة وتبنوا نظرياتها وحرصوا على تطبيقها، والاستفادة منها في دراسة لغاتهم وتيسير سبل تعليمها وتعلمها.

ومما لاشك فيه أنّ العالم العربيّ ليس بمنأى عن هذه التيارات الفكرية الغربية فهو أيضا سعى من جهته لنقل هذا العلم الجديد إلى الساحة العربية، واجتهد في تطبيق مناهجه على اللغة العربية بما يتلاءم مع طبيعتها وخصائصها بغية النهوض والارتقاء بها من جهة، ومسايرة تطوّر حقل اللسانيات من جهة أخرى.

لقد أسهمت هذه البادرة في «نهضة الإشعاع اللساني في الوطن العربي»⁴، وكانت إيذانا لميلاد الدرس اللغوي العربي الحديث، وعليه يمكن القول أنّ مصطلح "اللسانيات العربية"⁵ ارتبط بالأبحاث والدراسات للغويين العرب الذين تسوّى لهم الاحتكاك بالمدّ اللساني الغربي، وتأثروا بأفكار ورؤى رواده على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم، فراحوا ينهلون من روافد هذا الحقل المعرفي، الجديد وتلقّيه من منبعه ومنشئه على يد مؤسّسيه وكان ذلك نتيجة الرّحلات العلميّة التي استفاد منها نخبة من الطّالّاب في عهد "محمد علي" بعد الحملة الفرنسية على مصر، وكذا التّلمذ على يد المستشرقين الذين انتدبوا إلى الجامعات، والمدارس العربيّة لإلقاء المحاضرات والتّدرّيس بها، وتكوين طلبة عرب لتمكينهم من أصول هذا الفرع العلميّ الجديد، وهي فرص أسهمت جميعا في انفتاح الفكر العربيّ على الفكر اللغويّ الغربيّ والتّشبع بقيمه⁶؛ ولذا يرى الدّارسون أنّ اللسانيات بمعناها "العلميّ الدّقيق لم تدخل العالم العربيّ بصفة جديّة إلّا بعد الأربعينيات"⁷ من القرن 20، وهي فترة نشأة اللسانيات العربية "وقد ارتكزت على جهود بعض اللسانيين العرب أمثال: د. إبراهيم أنيس، د. تمام حسّان، د. عبد الرحمان أيوب، د. محمود السعران، ود. كمال محمد بشر، فقد كانت جهود هؤلاء من أبرز الجهود وأوفرها إسهاماً في صياغة الخطاب اللساني العربي"⁸.

لعل هؤلاء يمثلون مرحلة ثانية من نشأة الدّرس اللساني العربي الحديث ممّن سبقوهم، في سبيل نقل المنهاج اللغويّة الغربيّة إلى الدّراسات العربيّة والتي يمكن عدّها المرحلة الأولى من نشأة الدّرس اللساني العربي الحديث، ونقصد بذلك جهود "رفاعة الطهطاوي"، "إبراهيم اليازجي"، "جرجي زيدان"، "الأب أنستاس ماري الكرمل"، و"الأب مرمجي الدومينيكي"⁹، هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر. ممّن كان لهم باعٌ في نقل مناهج البحث اللغوي السّائدة في أوروبا خلال القرن التّاسع عشر، والتي غلب عليها الطّابع التّاريخي والمقارن فكانت "في الأغلب دراسة العلاقات التّاريخيّة بين العربيّة وبين سائر اللغات السّامية، أو دراسة المفردات على أساس تاريخي أو ما قارب ذلك... وكان اتجاه آخر للتعريف بعلم اللغة وفروعه، وللقيام بدراسات لغوية على أساس من الفهم الحديث للغة ومن المناهج الحديثة لدراساتها"¹⁰. جهودٌ على تباين مناهجها أسهمت جميعا في إرساء معالم الدّرس اللساني العربيّ الحديث في الثّقافة العربيّة.

توالى جهود العرب في نقل اللسانيات الغربيّة إلى الثّقافة العربيّة ونشطت "حركة التّأليف التي تنوعت بين مصنفات عُيّنت بدراسة مستويات اللغة العربيّة في ضوء الدّراسات اللسانية الحديثة وأخرى حاولت تقديم اللسانيات الغربيّة للقارئ العربي ثم تلك التي كُرسَتْ لنقد النحو العربي من وجهة النظر الحديثة، وبين حركة التّرجمة التي لم تكن حركة واسعة"¹¹. محاولات رائدة اجتهد أصحابها تجديد البحث اللغوي العربيّ بمصطلحات ومفاهيم وآليات حديثة.

عُرِفَت المصنّفات التي عُيّنت بنقل هذا الفرع العلميّ الجديد إلى الفكر العربيّ والتّعريف به، بمصطلح. "الكتابة التمهيدية التيسيرية"¹² وعُدّت السّبيل الوحيد لذلك إذ "لا يمكن لأيّ علم أن يذيع وينتشر بدونها لذلك من الطبيعي أن يُشكّل هذا النّوع من التّأليف أحد الاهتمامات الأساسيّة لنشر العلوم وتقريبها إلى القراء"¹³ وعليه فإنّ هذه الكتابات تُعنى "بالجانب التّعليمي التّبسيطي وبإعطاء القارئ المبتدئ المفاتيح التي تمكّنه من فكّ مستغلقات اللسانيات وتمكينه من مبادئها"¹⁴ لأنّ القارئ أو « متلقّي الكتابة

اللسانية التمهيدية قارئ مبتدئ غايته التعرف على مبادئ اللسانيات باعتبارها علماً جديداً¹⁵ نشأ في أحضان الثقافة الغربية.

غايةً يروم إليها كلّ الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية نقل هذا العلم، وهذا ما صرح به "محمود السعران" قائلاً: "ولقد حاولت تبسيط حقائق هذا العلم ما وسعني التبسيط، مع حرصي على الدقة والسلامة حتى يستقلّ القارئ المبتدئ بتحصيل ما فيه ومدارسته، وينتقل منه آمناً إلى مطالعة أصول هذا العلم منقولة إلى العربية، أو مكتوبة بلفاتها"¹⁶. وهو اعتراف بالدور التعليمي لهذا النوع من الكتابة اللسانية. أهم مصنفات الكتابة التمهيدية¹⁷:

العنوان	المؤلف
علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي	محمود السعران
علم اللغة العام	توفيق محمد شاهين
في علم اللغة العام	عبد الصبور شاهين
الألسنية (علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام)	ميشال زكرياء
المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث فيه	رمضان عبد التواب.
مدخل اللسانيات	صالح الكشر
مدخل إلى علم اللغة	محمود فهمي حجازي
مدخل إلى علم اللغة	محمد علي الخولي
مدخل للسانيات سويسر	مبارك حنون
مدخل للصواتة التوليدية	إدريس السفروشي
مقدمة في علوم اللغة	البدر اوي زهران
مقدمة في اللسانيات	عاطف فضل
مقدمة في اللسانيات	عيسى برهومة
توطئة لدراسة علم اللغة	التهامي الراجحي.

مبادئ في اللسانيات	خولة طالب الإبراهيمي.
مبادئ في اللسانيات	أحمد محمد قدور
مدارس علم اللغة	المعتمد بن رشدو محمد غريص
اللسانيات الوظيفية مدخل نظري	أحمد المتوكّل

ولعلّ من المصنّفات الّتي عُدّت من بواكير الكتابات اللسانية التمهيديّة العربيّة مصنّف "علم اللغة" لمؤلفه "علي عبد الواحد وافي" فهو "أوّل محاولة تأليف في مجال الدّراسات اللغويّة الحديثة"¹⁸ الصّادر سنة 1941. ولعلّ هذا ما نلمسه في مقدّمة الكتاب إذ نجده يعزو إلى نفسه فضل السّبق في الكتابة حول "علم اللغة" كمنهج علمي واضح الحدود والمناهج بقوله: "وعلى الرغم من ذلك، لم يكتب فيه باللغة العربية -على ما أعلم- مؤلف يعتدّ به، اللهم إلّا بعض كتبت قديمة تمثل هذه البحوث في أدوار طفولتها الأولى بل في أدوارها السابقة للطفولة. ولا تكاد اليوم -وقد أيفع هذا العلم- تنفع من صدى ولا تسمن من جوع... حيال هذا، رأيت أنّ الواجب يحتم عليّ... أن أقوم بأوّل محاولة في هذا السّبيل"¹⁹ وعلى هذا الأساس ارتأينا تخصيصه بدّراسة وصفية في المحتوى لإبراز هذا الجهد المضني، ومدى إسهامه في إفادة القارئ أو المتلقّي العربي وتنويره. ففيم تجلّت قيمته الوظيفيّة؟

2- التعريف بالمؤلّف وأهمّ أعماله:

2-1- التعريف بالمؤلّف:

علي عبد الواحد وافي (1319هـ/1901م - 1412 هـ/1991م)، كاتب ورائد من رواد علم الاجتماع العربي، مصري الجنسية، ولد في أم درمان بالسودان حيث كان والده مدرّسا في المدارس الأميرية ثم في كلية غوردون. عند عودة الأسرة إلى مصر، دخل مدرسة ابتدائية ثم تعلّم في الأزهر، فحفظ القرآن الكريم وطائفة من المتون العلمية الّتي تلقى شرحها على والده، وتخرج في دار العلوم العليا عام 1925م. كان أول فرقته

فأوفدته وزارة المعارف آنذاك في بعثتها إلى جامعة السوربون في باريس، حيث درس الفلسفة وعلم الاجتماع، ف قضى بها نحو ست سنوات، فحصل على البكالوريوس عام 1928م وكان عنوان الرسالة "نظرية اجتماعية في الرق"، ثم درجة الدكتوراه في علم الاجتماع من الجامعة نفسها تحت إشراف الأستاذ "فوكونيه" أستاذ علم

الاجتماع عام 1931م وكان عنوان الرسالة "الفرق بين رق الرجل ورق المرأة". عمل مدرساً لعلم النفس والتربية والاجتماع في الأزهر وجامعة القاهرة، والعديد من الجامعات العربية: كجامعة أم درمان بالسودان، وجامعة قسنطينة بالجزائر، وجامعة محمد الخامس بالرباط، وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

تقلد مناصب أكاديمية عديدة، منها عميد كلية التربية بالأزهر، وعميد كلية الآداب ورئيس قسم الاجتماع بجامعة أم درمان، وجامعة القاهرة. انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وبالمجمع الدولي لعلم الاجتماع، وبالمجالس القومية المتخصصة وبالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. وقد منح جائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى للثقافة عام 1989م.²⁰

2-2- مؤلفاته:

ومن أهم مؤلفات الدكتور علي عبد الواحد وافي²¹:

- 1- نظرية اجتماعية في الرق.
- 2- الفرق بين رق الرجل ورق المرأة.
- 3- علم اللغة (الطبعة السابعة، مزيد ومنقحة).
- 4- فقه اللغة (الطبعة السابعة، مزيد ومنقحة).
- 5- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل (الطبعة الثالثة، مزيدة ومنقحة).
- 6- اللغة والمجتمع (الطبعة الثالثة، مزيدة ومنقحة).
- 7- علم الاجتماع.
- 8- الأسرة والمجتمع (الطبعة السادسة، مزيدة ومنقحة).
- 9- المسؤولية والجزاء (الطبعة الثالثة، مزيدة ومنقحة).
- 10- قصة الملكية في العالم (الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة).

- 11- قصة الزواج والعزوبية في العالم.
- 12- مشكلات المجتمع المصري والعالم العربي وعلاجها في ضوء العلم والدين.
- 13- 14 غرائب النظم والتقاليد والعادات (جزاءان).
- 15- المجتمع العربي.
- 16- الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي (ظهر في السلسلة التي تصدرها "دار المعارف" بعنوان "مكتبة الدراسات الأدبية").
- 17- ابن خلدون منشئ علم الاجتماع.
- 18- عبد الرحمن بن خلدون: حياته وآثاره ومظاهر عبقريته (ظهر في سلسلة "أعلام العرب" التي تصدرها وزارة الثقافة).
- 19- "مقدمة ابن خلدون، مع تمهيد وتكملة وتحقيق وشرح وتعليق (أربعة أجزاء، طبعة لجنة البيان العربي - بها نحو ثلاثة آلاف تعليق، وتمهيد في نحو 350 صفحة من القطع الكبير).
- 20- فصول "من أراه أهل المدينة الفاضلة للفارابي" مع مقدمة وتحقيق وشرح وتعليق.
- 21- البطالة ووسائل علاجها ولتعليم الإقليمي وأثره في علاج البطالة (نال جائزة المباراة الأدبية سنة 1935).
- 22- عوامل التربية.
- 23- أصول التربية ونظام التعليم (مع آخرين).

3- محتويات الكتاب (علم اللغة):

مقدمة.

تمهيد: التعريف بعلم اللغة.

الباب الأول: نشأة اللغة.

الفصل الأول: نشأة اللغة عند الإنسان.

الفصل الثاني: نشأة اللغة عند الطفل.

الباب الثاني: حياة اللغة:

الفصل الأول: تفرع اللغة إلى لهجات ولغات.

الفصل الثاني: فصائل اللغات.

الفصل الثالث: صراع اللغات.

الفصل الرابع: التطور اللغوي العام.

الفصل الخامس: أصوات اللغة، حياتها وتطورها.

استهلَّ "علي عبد الواحد وافي" كتابه بالتعريف بهذا الوافد الجديد ألا وهو "علم اللغة" من خلال عرض جملة من القضايا التي رأى أنَّها ستُكوِّنُ نظرةً شاملةً عن مفهوم "علم اللغة"، فقد حاول وضع حدٍ فاصل بين علم اللغة والعلوم الأخرى التي يمكن أن يشتبه بها. وهي محاولة لإزالة كلِّ لبس أو غموض قد يعترض القارئ أو المتلقِّي العربي يحول دون التلقِّي السليم للمعارف، والمفاهيم والذي من شأنه أن يؤدي إلى رفض العلوم وهجرها.

ومن النقاط التي ارتكز عليها "علي عبد الواحد وافي" في التعريف بـ "علم اللغة"

نذكر:

1-3: التمهيد:

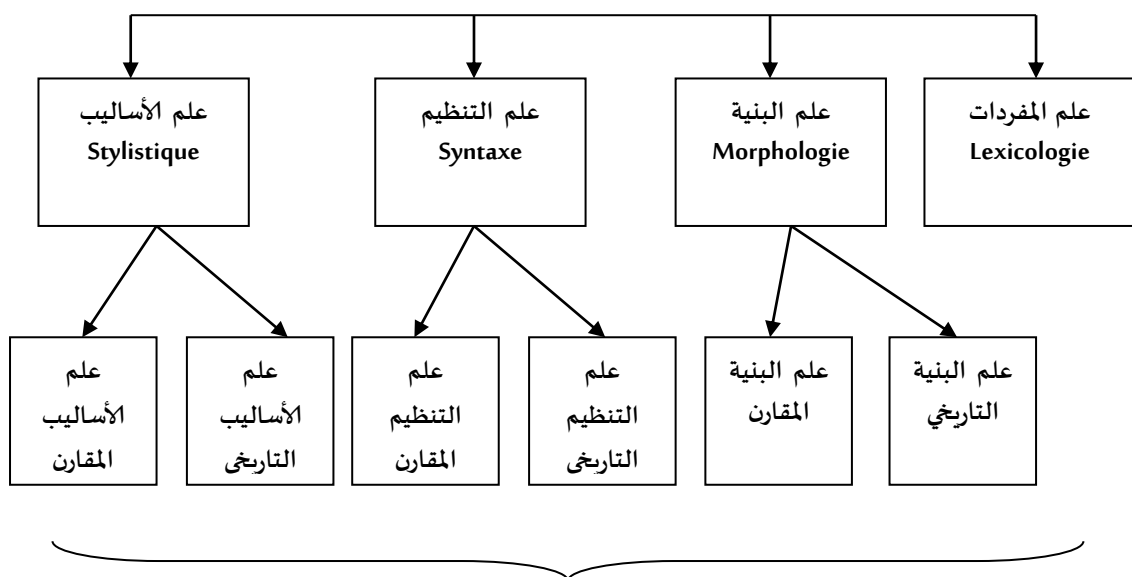
1-1-3: البحوث اللغوية المرتبطة بعلم اللغة²²:

أ/ أصل اللغة (نشأة اللغة) Origine du langage.

ب/ حياة اللغة Vie du langage من أهم فروعها: الدياليكتولوجي (Dialectologie) (علم اللهجات)

ج/ علم الأصوات (الفونيتيك) Phonétique.

د/ علم الدلالة (السيمنتيك) Sémantique أهم بحوثه:



القواعد Grammaire

هـ/ أصول الكلمات اليتيمولوجيا "Etymologie" وأهم شعبها Onomastique (أصول الأعلام): (أشخاص، قبائل، عشائر... إلخ) ومن أهم فروع هذه الأخيرة Toponomastique (أصول أسماء الأماكن).

و/ علم الاجتماع اللغوي Sociologie linguistique (العلاقة بين الظواهر الاجتماعية والظواهر اللغوية/ أثر المجتمع في اللغة).

ز/ علم النفس اللغوي Psychologie language (العلاقة بين الظواهر النفسية والظواهر اللغوية).

ح/ الفيولوجيا "Phiolologie" والتي تعنى بها البحوث اللغوية السالفة الذكر وتسمى فيولوجيا مقارنة philologie comparée.

هذه جملة البحوث اللغوية التي حصرها "علي الواحد وافي" تحت طائلة "علم اللغة" ومما تجدر الإشارة إليه أنه "وافي" لا يتحرّج من جعل "فقه اللغة" مرادفًا لـ "علم اللغة" إذ يرى أنّ مصطلح "فقه اللغة" الأنسب لهذه الأبحاث اللغوية لولا ارتباطه بالبحث في اللغة العربية وهذا ما يؤكّده قوله: "وقد كنّا نود أن نسمّ كتابنا هذا باسم "فقه اللغة" لولا أن هذا الاسم قد خُصّص مدلوله في الاستعمال المألوف فأصبح لا يفهم منه إلاّ البحوث المتعلقة بفقه اللغة العربية وحدها"²³.

2-1-3: أغراض علم اللغة²⁴:

الغرض والهدف الأساس لعلم اللغة هو كشف القوانين الخاضعة لها الظواهر اللغوية من صوتيّة، صرفيّة، نحويّة، دلاليّة، أسلوبيّة، بدراستها دراسة وصفيّة تحليليّة من خلال الكشف عن:

أ/ حقيقة الظواهر اللغويّة والعناصر التي تتألّف منها والأسس القائمة عليها.

ب/ وظائف الظواهر اللغويّة على جميع مستوياتها داخل المجتمع اللغوي الواحد.

ج/ علاقة الظواهر اللغويّة بالظواهر الأخرى، الاجتماعية، النفسية، الجغرافية الطبيعية، إلخ.... إلخ.

د/ التغيّر والتطوّر اللغوي لجميع مستويات اللغة على مرّ العصور وعلى اختلاف الأمم.

هـ/ كشف القوانين التي تحكم النظام اللغوي (صوتي، صرفي، نحوي، دلالي، أسلوبي).

ويجعل "علي عبد الواحد وافي" كشف القوانين واستنباطها هو الغرض الأسى والأساس الذي يسعى إليه "علم اللغة"، وقد اهتدى الباحثون إلى جملة من القوانين التي تخضع لها الظواهر اللغويّة.

3-1-3- قوانين علم اللغة²⁵:

يراد بمصطلح القوانين: الأصول العامة التي تُبيّن ارتباط الأسباب بمسبّباتها والمقدّمات بنتائجها اللازمة، أو بعبارة أخرى التي تُنبئ بحدوث نتائج معينة لازمة إذا حدثت أسباب خاصّة، وتُرجع النتائج الحادثة إلى أسبابها، والظواهر اللغويّة شأنها شأن الظواهر

الطبيعية لا تخضع للأهواء والصّدف وإدارة الجماعة اللغوية، وإنّما تسير وفق قوانين لا تقلّ أطرًا أو صرامةً مثل قوانين الطبيعة، وأهمّ القوانين الخاصة بـ"علم اللغة" حصرها "وافي" في:

أ- قوانين علم الأصوات (Phonétique).

ب- قوانين علم الدلالة (Sémantique).

ويرى "وافي" أنّ القوانين الصوتية يمكن اكتشافها واستنباطها لأنّ عواملها يمكن تحديد أثارها وتحديد العلاقات التي توجد بينها وبين مختلف الظواهر اللغوية من أهمها:

- اختلاف تكوين أعضاء النطق وطريقة نطقها للأصوات.
- اختلاف البيئات الجغرافية الاجتماعية.

أمّا تحديد قوانين الظواهر الدلالية فأمر تحفه الصّعاب، لأنّ العوامل المؤثرة فيها لا يمكن ضبطها، إذ يرجع أهمها إلى عوامل اجتماعية، تاريخية، ثقافية، سياسية، أيّ لا يمكن التحكم في معرفة أسبابها.

4-1-3- شعب علم اللغة²⁶:

يقسم "وافي" شعب البحوث إلى قسمين:

أ- بحوث علمية: "موضوعها دراسة طائفة معينة من الظواهر لبيان حقيقتها، عناصرها نشأتها، تطورها، وظائفها، والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض والتي تربطها بغيرها وكشف القوانين الخاضعة لها في مختلف نواحيها".

ب- بحوث فنية: موضوعها "بيان الوسائل التي ينبغي الالتجاء إليها للوصول إلى طائفة معينة الغايات العلمية.

و"علم اللغة" يُصنّف ضمن طائفة البحوث العلمية لأنّه يهدف إلى دراسة الظواهر اللغوية دراسة "وصفية تحليلية ترجع إلى الوقوف على حقيقتها والعناصر التي تتألف منها والوظائف التي تؤديها، والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض والتي تربط بما عداها وأساليب تطورها والقوانين التي تخضع لها في مختلف نواحيها" أيّ أنّها تهتم بما "هو كائن (موجود) لا لبيان ما ينبغي أن يكون".

3-1-5- علاقة علم اللغة بالعلوم الأخرى²⁷:

بحوث علم اللغة ليست مستقلة عن باقي العلوم الإنسانية والطبيعية بل مرتبطة بها. منها:

- أ/ علم الاجتماع (نشأة اللغة: حياتها، وانتشارها مع غيرها من اللغات وتعدد مظاهره.
 - ب/ علم النفس (الإدراك، الفهم، اكتساب اللغة، أداء اللغة لوظائفها).
 - ج/ علم التاريخ (انتشار اللغات، صراعاها مع غيرها، موتها واستمرارها، الاقتراض (التعريب- الدخيل)، سبب الغزو، الهجرة، الاختلاط..)
 - د/ علم الجغرافيا: الموقع الجغرافي، الحدود الطبيعية، التضاريس.... إلخ.
 - هـ/ العلوم الطبيعية (علم التشريح: أعضاء، النطق، السمع، وظائفها.
- وعليه فإنّ علم اللغة تربطه علاقة بكلّ العلوم التي يستند إليها في دراسة الظواهر اللغوية واستنباط قوانينها.

3-1-6: مناهج علم اللغة²⁸:

يستخدم "علم اللغة" طرقا عامّة يشترك فيها مع غيره من البحوث العلميّة واستخدم كذلك طرقا خاصة به تقتضيها طبيعة الظواهر التي يعرض لدراستها ولا تتلاءم مع غيرها...". أهمّ هذه الطّرق أو المناهج التي حدّدها "علي عبد الواحد وافي" نذكر بإيجاز:

أ- طريقة الملاحظة المباشرة.

ب- طريقة الأجهزة في دراسة الفونيتيك "علم الأصوات".

ج- الطريقة التجريبية.

د- طريقة قياس الغابر على الحاضر.

هـ- طريقة الموازنة Méthode comparative.

و- الطريقة الاستنباطية Méthode d'induction.

بناءً إلى ما جاء خلال هذه القراءة في الطّريقة التي اعتمدها "علي عبد الواحد وافي" في تقديمه وتعريفه لـ"علم اللغة". هذا العلم الغربيّ المنشأ الغريب عن الثّقافة العربيّة، بغية تقديمه للقارئ العربيّ إذ نجدها محاولة جادّة، اتّسمت بالتوسّع والشرح والتّدقيق، والإلمام بجميع جوانب البحث اللغوي. فكان حريصا على تحديد حدود هذا

العلم، وحصر أهمّ أبحاثه، وأغراضه التي يروم إليها، ومناهجه في دراسة الظواهر اللغوية وعلاقته بالعلوم الأخرى، ليجعل المتلقّي العربي يدرك المفهوم العامّ لهذا الحقل العلمي. ويخلص إلى أنّ "علم اللغة" منهجٌ علميٌّ يُعنى بدراسة الظواهر اللغوية من أجل استنباط القوانين التي تحكمها على جميع مستوياتها؛ الصوتية، الصرفية، النحوية، الدلالية الأسلوبية.

قد قدّم "علي عبد الواحد وافي" دراسة تأريخية للتعريف بإرهاصات هذا المنهج العلمي الجديد قبل أن يصبح علمًا قائمًا بذاته نحاول تلخيص أهم المراحل التي مرّ بها الدرس اللغوي فيما يلي:²⁹

1/ كانت البحوث اللغوية عند الغرب حتى أواخر القرن الثامن عشر مقتصرة على علم الصرف، النحو، والأسلوب لأهداف تعليمية وكان يتقصاها المنهج العلمي، فقد كانت عبارة عن آراء وملاحظات، ذكر منها:
أ- ملاحظات في أصول اللغة.

ب- ملاحظات وتجارب على الصّوت: المدارس المنشأة في ق 18 لتعليم الصمّ البكم.
ج- بعض الآراء في أصول الكلمات الفرنسية، الإيطالية، والإسبانية (كلود فوشيه، بيرون هنري إتيان، ميناج (ألفسة 1650 معجما في أصول الكلمات الفرنسية).
د- بحوث لغوية عامة وخاصة، الأكاديميات التي أنشئت في صدر العصور الحديثة (الفرنسية، الإسبانية، فلورنسا... إلخ).

لقد اتّسمت هذه الأبحاث بالضيق لاقتصارها على اللغتين الإغريقية واللاتينية وبعض اللغات الأوروبية الفصحى.

2/ تحوّل الدّراسات اللغوية عند اكتشاف اللغة السنسكريتية Sanscrit على يد "وليام جونس"³⁰ "W.Jones" عام 1786 "واكتشاف التشابه والقاربة بين اللغات الهندية وبين اللغات الإغريقية واللاتينية، وظهور علوم القواعد التاريخية والمقارنة.
3/ توسّع الدّراسات اللغوية من دراسة اللغات الهندية- الأوروبية إلى دراسة اللغات الإنسانية.

4/ التخلص من الأفكار الفلسفية: من البحث عن نشأة اللغة وتوجّهوا إلى دراسة الظواهر اللغوية دراسة منهجية، بالعمل على تحليل الظواهر اللغوية لاكتشاف القوانين التي تحكمها متأثرين بالمناهج التجريبية والطبيعية.

5/ تخصص فروع علم اللغة في خمس شعب:

1/ علم الأصوات (جاستون باريس -أنشأ مخبر التجارب الصوتية-، بول باسي).

2/ علم اللهجات (جاستون باريس، أنطوان توماس، ألبرت دوزا...).

3/ علم النفس اللغوي (بالي، بولان، برونو، باولو فيتش...).

4/ علم الدلالة (وتني، دار مستيتير، بريال، ألبير دوزا...).

5/ علم الاجتماع اللغوي (دوركايم، ليفي بروا، موس...).

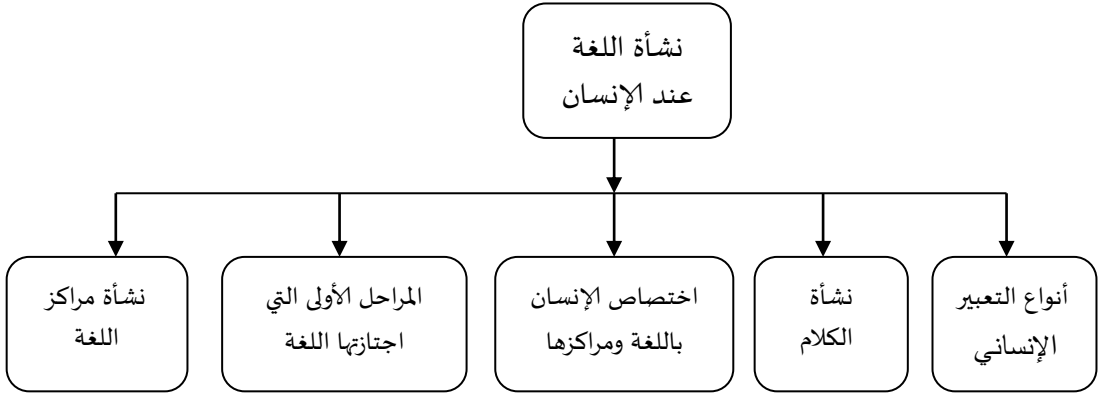
هذا باختصار أهم المراحل التي مرّت بها الأبحاث اللغوية في الدرس اللساني الغربي قبل أن يكتمل علم اللغة ويصبح علماً قائماً بذاته، ولعلها دراسة تاريخية مهمة لأي معرفة، لأن إدراك الخلفية الفكرية لأي علم من شأنها أن تزيد من الفهم والاستيعاب كما تزيد من إمكانية القبول أو الرّفص.

وفيما يلي عرض لأهم ما جاء في الأبواب والفصول:

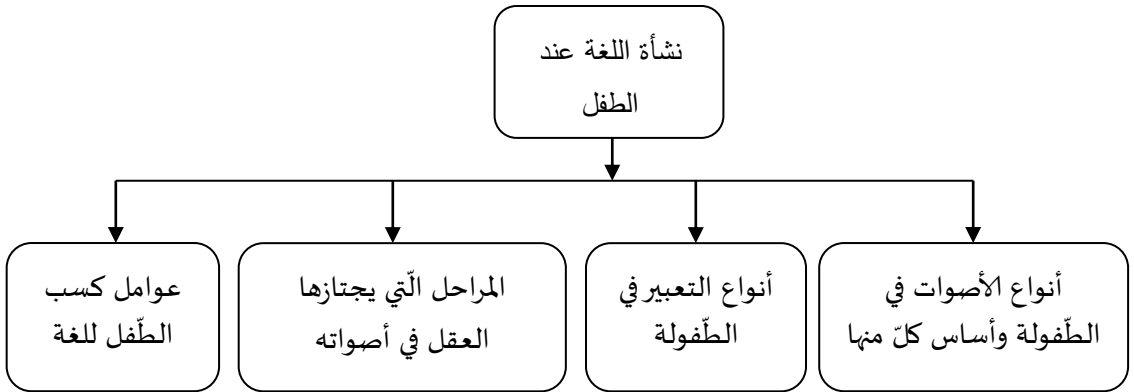
2-3- الباب الأول: نشأة اللغة

لقد وقف "علي عبد الواحد الوافي" مطوّلاً عند قضية نشأة اللغة وحياتها وإن لم تكن من صميم "علم اللغة"، وأهم ما عرض له في قضية نشأة اللغة، نختصرها في المخططين الآتيين:

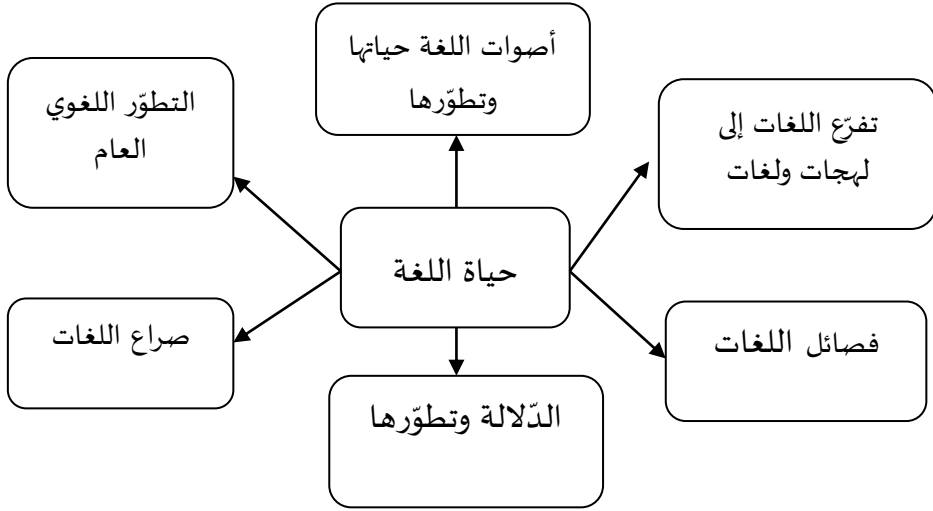
1-2-3- الفصل الأول: نشأة اللغة عند الإنسان³¹:



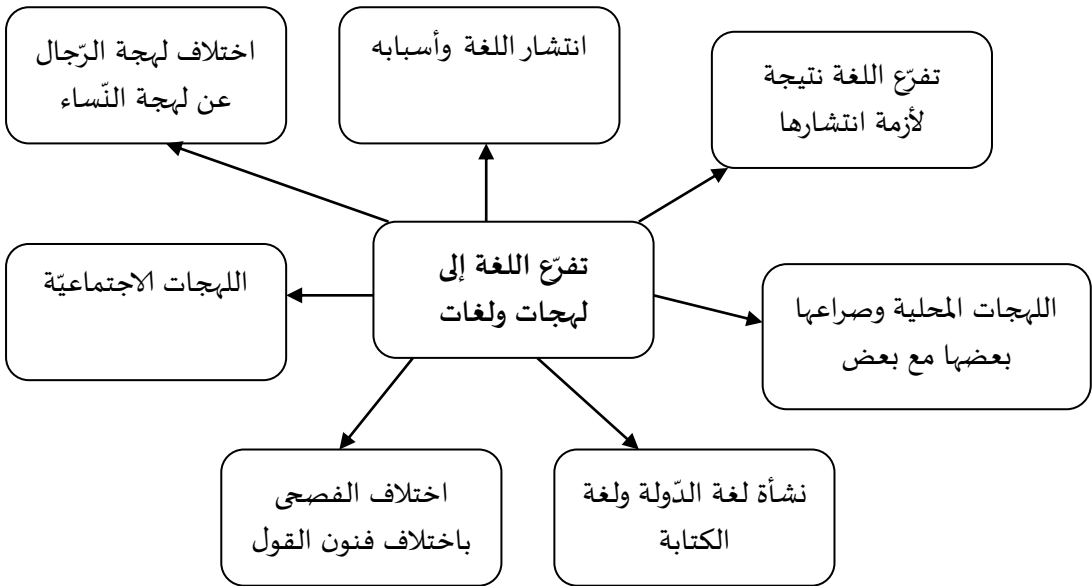
2-2-3- الفصل الثاني: نشأة اللغة عند الطفل³²:

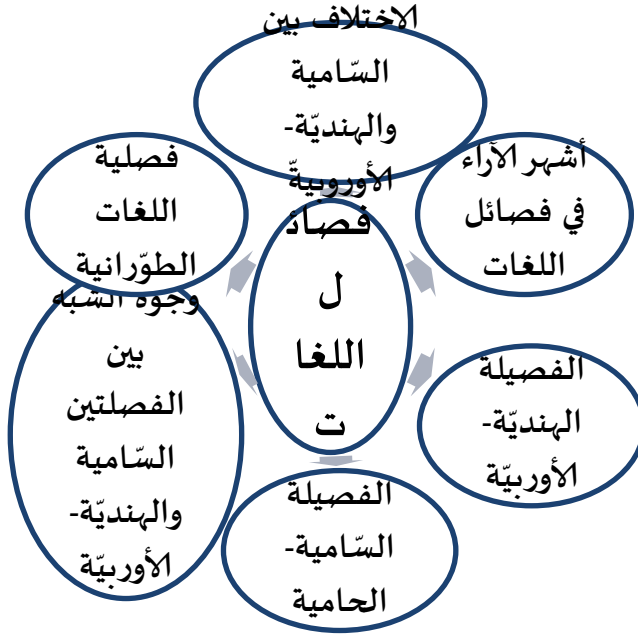


3-3- الباب الثاني: حياة اللغة

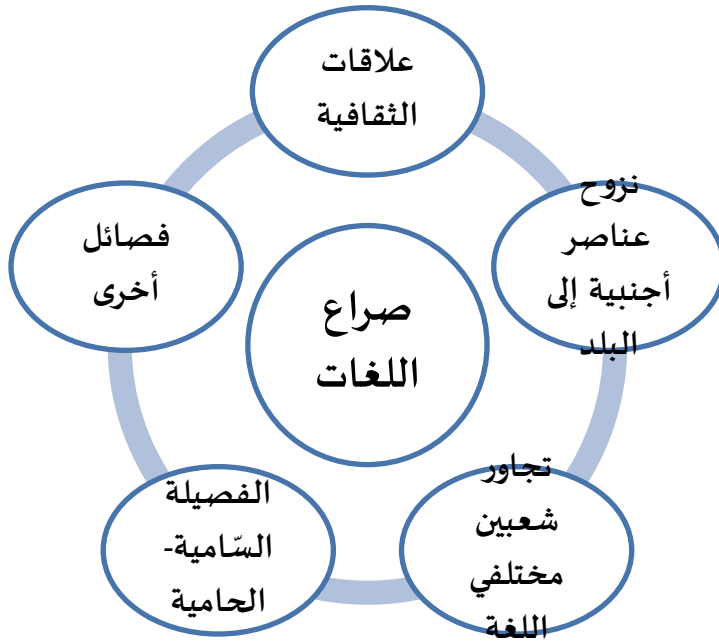


1-3-3- الفصل الأول: تفرع اللغة إلى لهجات ولغات³³:

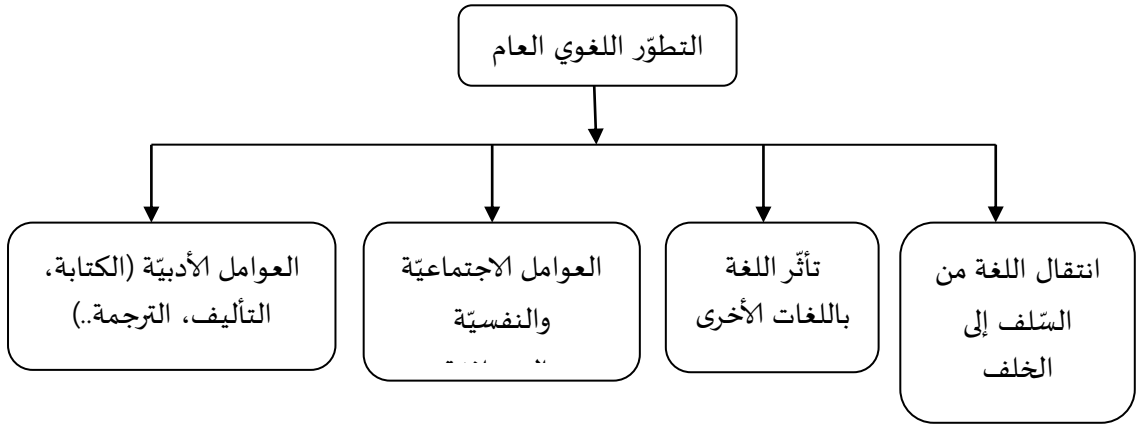




3-3-3- الفصل الثالث: صراع اللغات³⁵:

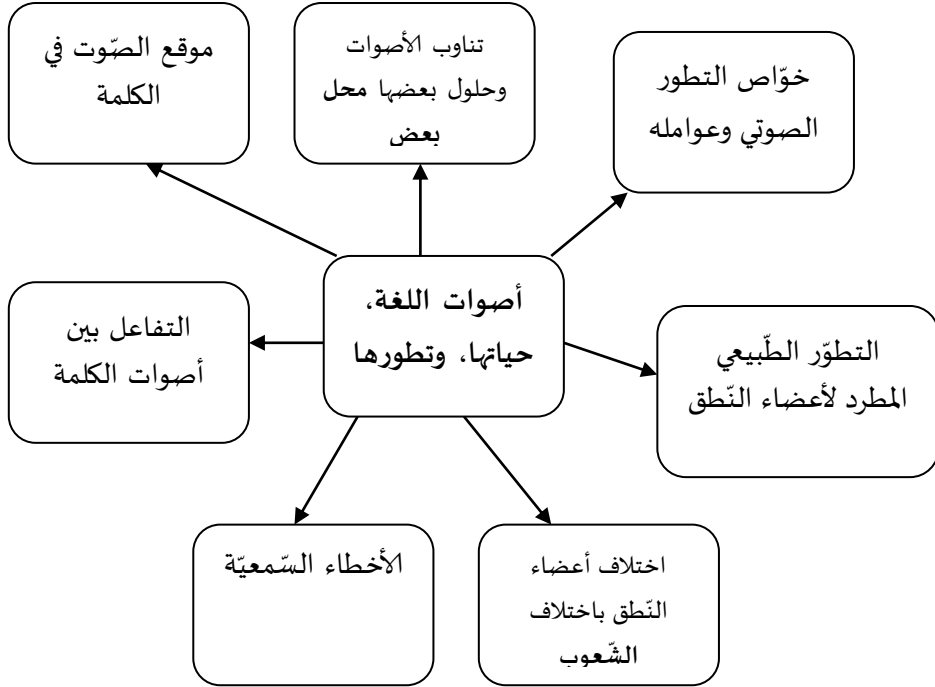


4-3-3- الفصل الرابع: التطور اللغوي العام³⁶:

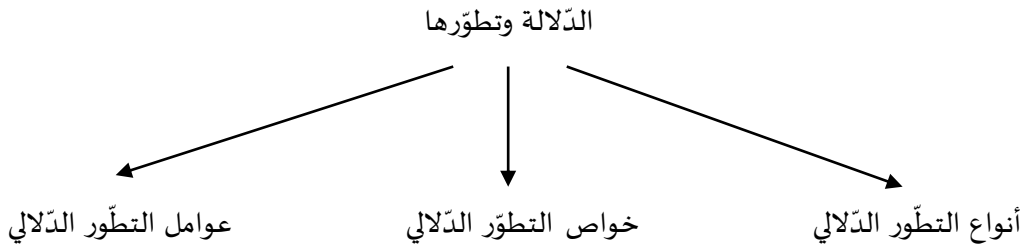


3-3-5- الفصل الخامس: أصوات اللغة حياتها وتطورها³⁷:

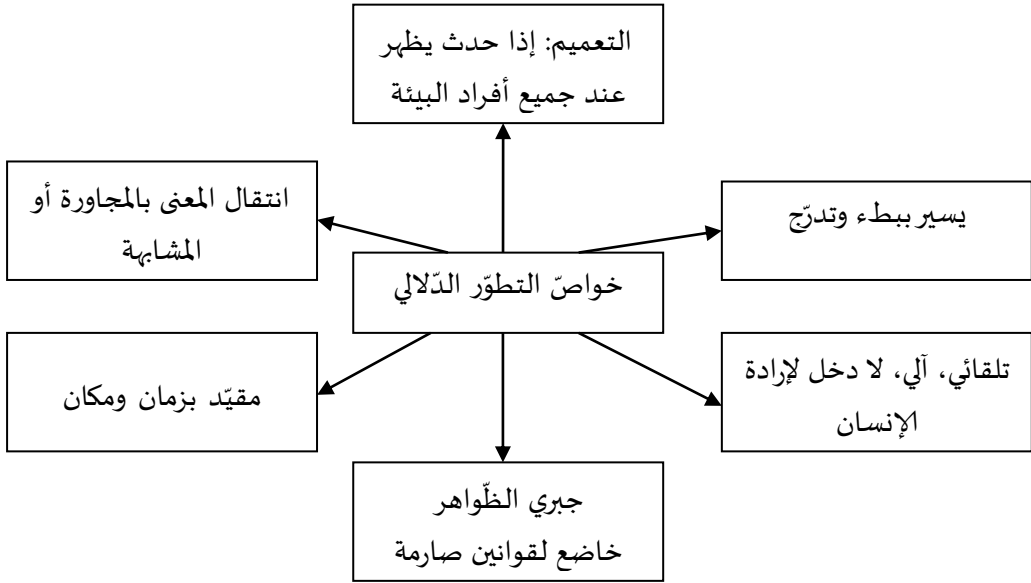
لقد اقتصر على التطور الصوتي والدلالي باعتبارهما أكثر مستويات اللغة عرضة للتغير والتطور، إذ خصص لكل منهما فصلا تطرق فيه إلى أهم النقاط التالية:

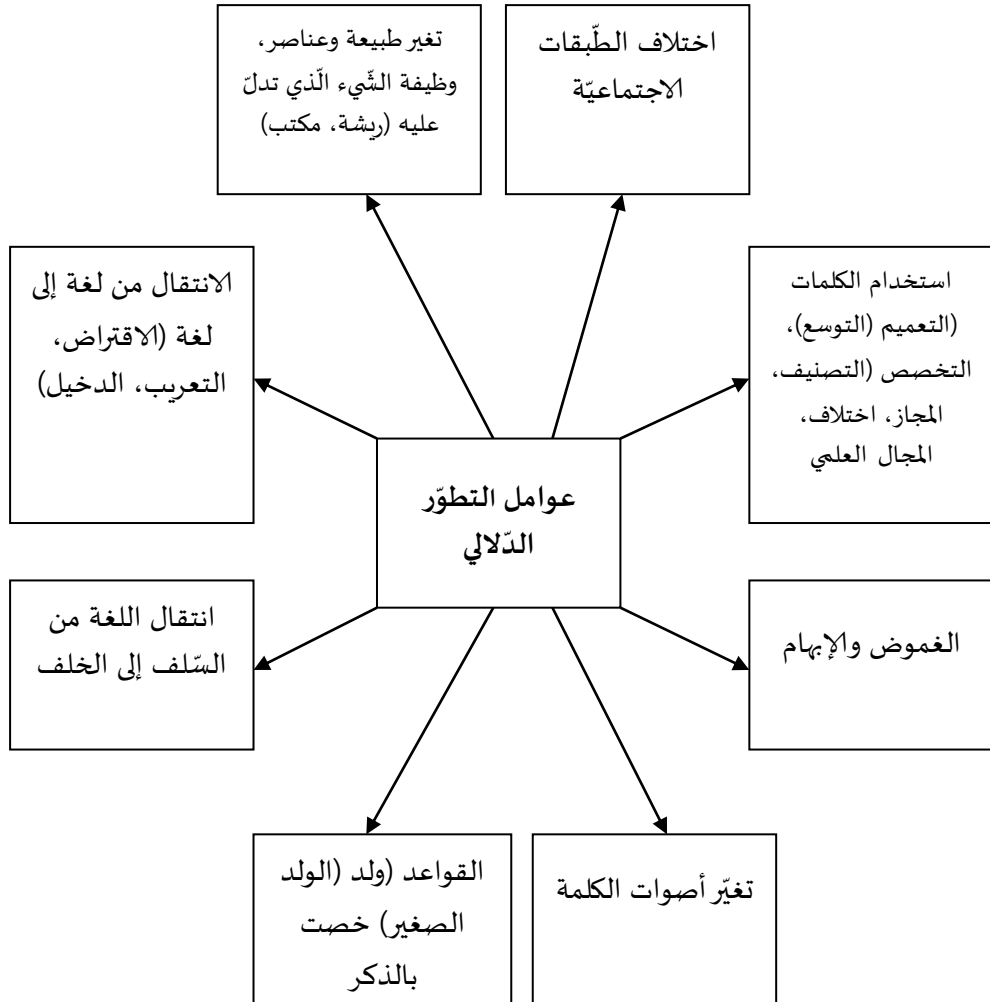


3-3-6- الفصل السادس: الدلالة وتطورها³⁸:



أ- خواص التطور الدلالي³⁹:





4- الخاتمة:

نخلص في نهاية هذه المحاولة القرائية في مصنف "علم اللغة" أنّ هذا الأخير بدوره كان محاولة لنقل "ما ستجد من أفكار وأراء مجتلبة من الدّراسات الغربيّة فيما أُطلق عليه علم اللغة الحديث"⁴¹، يروم من خلالها إلى إثراء الدّراسات اللغويّة العربيّة

والتهوؤ باللغة العربية والارتقاء بها من خلال تطبيق المناهج اللغوية الحديثة، وكذا ترقية الوعي الفكري وتنوير القارئ العربي.

✓ "علم اللغة" من بواكير الكتابة اللسانية التمهيدية العربية عكست نية مؤلفه في التعريف بعلم اللغة وتقريبه من القارئ العربي حتى يحيط بجميع جوانب هذا المجال المعرفي الجديد، ويؤكد بذلك فكرة جامعة كافية حوله، ليستقبله دون تشويش ويتمكن من فهمه واستيعابه وتخصّل الفائدة من التأليف.

✓ عرض "علي عبد الوافي" جميع البحوث اللغوية والآراء ذات الصلة باللغة الإنسانية عامة، واللغات المختلفة باختلاف الشعوب الناطقة بها، ولعلها جديدة على القارئ يتلقاها لأول مرة.

✓ علم اللغة في طريقة تصنيفه وعرضه للبحوث اللغوية⁴² توجه تاريخي كونه خريج مدرسة علم الاجتماع الفرنسية، وكذا التأثر بالأبحاث اللغوية ذات الطابع التاريخي والمقارن في الدرس اللساني الغربي خلال فترة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين⁴³.

✓ "علم اللغة" جهدٌ مضني لا يمكن إنكاره وإجحاده رغم ما طاله من مأخذ من نقائص. فهو فاتحة لتوالي مؤلفات اختصت بالوصف والتحليل للظواهر اللغوية تحليلًا لسانيًا وصفيًا انطلاقًا من سنة 1947 مع إبراهيم أنيس من خلال كتابه الأصوات اللغوية⁴⁴ ويعدّ "عبد الواحد وافي" من أوائل مؤسسي الدرس اللساني العربي الحديث.

✓ "علم اللغة" نموذج من الكتابات العديدة التي تحتاج إلى قراءة في محتويات لإبراز قيمتها ودورها في إفادة القارئ العربي وإثراء الدراسات اللسانية العربية.

5- الهوامش:

¹ محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية (بيروت، لبنان، (د.ط.)، (د.ت.)، ص 335.

² المصدر نفسه، ص 136.

³ ينظر: أحمد عروز، المدارس اللسانية أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها الأداء التواصل، ط2، (د.ت.)، ص 106/105 ومحمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 49.

⁴ عبد السلام المسدي اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية، (د.ط.)، (1986)، ص 12.

- ⁵ نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، فاطمة الهاشي بكوش، إيتراك، (القاهرة ط1، 2004)، ص 12.
- ⁶ ينظر: فاطمة الهاشي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 18، ومحمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 2، وحافظ اسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد، (المتزه ط1، 2009)، ص 43. ومصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، المدارس الدار البيضاء، ط1، 2006)، ص 7-8.
- ⁷ عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية واللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال ط3، 1993، ج1، ص 51.
- ⁸ فاطمة الهاشي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي، ص 9.
- ⁹ ينظر: فاطمة الهاشي بكوش، نشأة الدراسة اللسانية العربي، ص 13.
- ¹⁰ محمود السعران، علم اللغة، ص 26-27.
- ¹¹ فاطمة الهاشي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي، ص 22.
- ¹² حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 99.
- ¹³ المصدر نفسه، ص 99.
- ¹⁴ المصدر نفسه، ص 118.
- ¹⁵ المصدر نفسه، ص 104.
- ¹⁶ علم اللغة، محمود السعران، ص 6.
- ¹⁷ حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 102.
- ¹⁸ المصدر نفسه، ص 43.
- ¹⁹ علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر، ط9، 2004، ص 4-5.
- ²⁰ https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%8A_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D8%AD%D8%AF_%D9%88%D8%A7%D9%81%D9%8A
- ²¹ ينظر: المصدر نفسه، ص 341.
- ²² ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 6-16.
- ²³ ينظر: المصدر نفسه، ص 16-17.
- ²⁴ علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 16.
- ²⁵ ينظر: المصدر نفسه، ص 17-23.
- ²⁶ ينظر: المصدر نفسه، ص 24-28.
- ²⁷ ينظر: المصدر نفسه، ص 30-39.
- ²⁸ ينظر: المصدر نفسه، ص 33-52.
- ²⁹ ينظر: المصدر نفسه، ص 52-68.

³⁰ ينظر: المصدر نفسه، 81-118.

³¹ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، (دمشق، ط3، 2008)، ص 17.

³² ينظر: المصدر نفسه، 119-153.

³³ ينظر: المصدر نفسه، 169-194.

³⁴ ينظر: المصدر نفسه، 195-228.

³⁵ ينظر: المصدر نفسه، 229-248.

³⁶ ينظر: المصدر نفسه، 249-284.

³⁷ ينظر: المصدر نفسه، 258-312.

³⁸ ينظر: المصدر نفسه، 313-314.

³⁹ ينظر: المصدر نفسه، 319-328.

⁴⁰ ينظر: المصدر نفسه، 314-319.

⁴¹ ينظر: المصدر نفسه، 319-328.

⁴² علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ط1، 1986)

ص 7.

⁴³ ينظر: مصطفى غلفان، واللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، المدارس الدار البيضاء

ط1، 2006، ، ص 142.

⁴⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 143